انماط الوصل في غزل شعراء الطوائف والمرابطين

م.م. منال عبد الحي ابراهيم
مُدرسة في تربية الكرخ الاولى
manal762023@gmail.com

Connective patterns in the ghazals of sect and Almoravid poets

Assist.Lect. Manal Abd Al-hay Ibrahim
A teacher at the First Directorate of Education of AlKarkh

.

المستخلص

ان هذا البحث يصبو الى دراسة انماط الوصل في غزل شعراء الطوائف والمرابطيـــــن، إذ أن الشاعر العربي– ولا سيما الاندلسي – العاشق يتقلب بين انماط الوصل ،فالوصل هو غايتـــــه ومبتغاه ،وسنتناول في بحثنا انماط واشكال ذلك الوصل ،إذ كان في اغلب حالته منقسم الى وصل حقيقي واقعي ملموس ،أو وصل متخيل غير واقعي وغير ملموس يأتي في المنام تارة أو في الاماني تـــــارة أخرى ،وسنقف في هذا البحث على تلك الانماط من الوصل .

الكلمات المفتاحية: شعر الغزل ،الاندلس، قصيدة ، الوصل، الطوائف ، المرابطين.

Abstract

:

This research aims to study the patterns of connection in the poetry of the poets of the sects and the Almoravids, as the Arab poet, especially the Andalusian lover, fluctuates between the styles of connection, so connection is his goal and goal, and we will discuss in our research the patterns and forms of that connection, since in most cases it was divided into connections. A real, real, tangible connection, or an imagined, unreal, intangible connection that comes in a dream sometimes or in wishes at other times, and in this research we will focus on those types of connection.

Keywords: spinning poetry, Andalusia, poem, connection of sects, Almoravid

التوطئة :

أبدع شعراء الغزل في عصري الطوائف والمرابطين بتصويرهم للواقع الاندلســـي آنذاك ولذا ارتأينا اظهار هذه الناحية الجمالية التي انمازت بها النصوص الغزلية الثرية التي تحل في طياتها الابداع والتألق الذي يستحق البحث والدراسة ،ولا سيما حالة الوصل بين الشاعر والحبيبة، فكان هذا البحث ليقف على انماط ذلك الوصل في اشعارهم ،وجاءت الخطة في مبحثين يسبقهما توطئة ،فكان المبحث الاول فـي نمط الوصل الحقيقي، والمبحث الثاني في نمط الوصل المتخيل ،ثم خاتمة تعقبهما قائمة المصـــادر والمراجع.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمــين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسليــن .

المبحث الاول

نمط الوصل الحقيقي

جاء في الصحاح أن "الوصل ضد الهجر" **(١)** فمتى ما تحـقق الوصل انتفى الهـجران، والوصـل للشاعر بمثابة الغيث للأرض فإذا واصلته المحبوبة أزهرت نفسه المحبة والصـفاء ،واذا صدَّت فلا تثمر الَا الهجر والجفاء ،فقد تعددت الصور الشعرية ، فمَرة يكون وصف اللقاء وصـفا دقيقا لملامح المـرأة وصفاتها، إذا كان الوصل حقيقياَ ،ومرة أخرى يصف اللقـاء وصفاَ عامـاَ لا يتطرق فيه الشاعر الَا إلـى تخيَّل اللقاء أو الحديث عن محبوبة إذ كان الوصل مُتخيلاً .

وسنقف في هذا المبحث على : أنماط الوصل الحقيقي.

إنَّ من أوضح الامثلة على الوصل الحقيقي قول ابن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ) في الغزل: (البسيط)

أُسامِرُ البدرَ لمّا ابطَأتْ وأَرى في نورهِ مِن سَنا اشْراقِها عَرَضَا

فَبِتّ مُشترِطًا والودّ مُختلطًا والوَصلُ مُنبسِطًا والهجرُ مُنقَبِضا(٢)

يحتوي البيت الأول على الفاظ لينـة منـها (البدر, نوره, سنا, اشراقها) ويحتوي على افعال جاء بعض منها لينًا ايضًا مثل: (اسامرُ, ابطأت, أرى)**,ويحتوي البيت الثاني على الفاظ رقيقة منها: (الـودُّ, الوصلُ, منبسطًا), اذ وظف الشاعر هذه الالفاظ اللـينة والرقيقة فتعانقت معًا وهو يطلي عليها من فرحه وابتهاجه بوعد محبوبته زيارته فهو يسامر البدر متحدثًا معه ليلاً ؛ حتى يسلي نفسه من تأخرها وابطائها في الحضور لهذه الزيارة المرتقبة, متأملاً ظهور سنا ضيائها؛ ليشرق بصورة عرضية على القمر فـــي تمامه؛ فقد بات وهو يشترط حضور محبوبته مع**

اختلاط الودّ والمحبة ووصال الحبيـب متوافر ومبسوط, أما الهجر فقد تلاشى وانقبض . وبهذا حقق ابن حـزم الانسجام ما بين اللفظ والمعنى, حيث أن من الأركان الأساسية التي يجب أن يتسـم بها الشعر من غيره في الكلام "ان تتوافر في الفاظه صفة التجانس بيـن اللفظ والمعنى وذلك بأن يكون اللفظ رقيقًا في موضع الرقة, وقوي عنيفًا في موضع القوة والعنف"**(٣)**.

ولابن زيدون (ت ٤٦٣هـ), قصيدة مشهورة تداولتها الألسن لما فيها من صدق شعوري, وأنسياب

عاطفي, وحنين لمكان لقياه بحبيبتـــه ولّادة, مشاركا فيها جزيئات المكان الذي عبّـر عن شعوره الداخـلي بالاشـتياق, قصـيدة (مجالي الزهراء) ومنها قوله: (البسيط)

وردٌ تألّقَ – في ضاحِي مَنَابتِهِ – فازْدَادَ مِنْهُ الضّحى في العَيْنِ إشْرَاقا (٤)

إذ نجد تناغم الالفاظ (ورد, إشْرَاقا), والافعال (تألقَ, أزدادَ) كونها ألفاظ رقيقة لطيفة, حيث نجد الشاعر يصف محبوبته بالورد المتألق البارز وكيف لا وهو في أوج زمن تألقه حتى أن الضحـى وهو من أصفى وأوضـــح ساعات النـهار قد ازداد إشراقًا في العيون نتيـــجة لظهور الحبيـبة واطلالها, ومن خلال تلك الألفاظ التي انماز البيت بها رقة ولطفا, حيث أن "اللغة هي وبالحرف الواحد مـادة الأديب"**(٥)**.

وهذا شاعرنا ابن خفاجة (ت٤٣٣هـ) يصف لقاءهُ مع حبيبته، اذ يقول: (الطويل)

وَزَارَ بِهِ نَجمَ الُّهى قَمَرُ الدُجـــى فباتَا بحالِ الفَرقَدَينِ* وصَـــــالا

إذا ما هَداني فِيه بَارقُ مُـــبتسِمٍ أجَنّ دُجى** *فَرْعٍ فُجِرتُ ضَلالا (٦)**

فهو نجم حبيبته قمر يتبادلان الوصال, ونور كلّ منهما يكاد يطغى على الآخر, فضلاً عن ضوء البرق الذي يضيء ظلمة ليل الهجر, فهو وصال حقيقي ملموس .

وهنا يعاود اعلانه حبّه بأرق الالفاظ وأعذبها, موظّفًا موقف الوصل الحقيقـــي إذ يقول : (الطويل)

فَمَا أَنْسَهُ لا أنْسَ لَيْلاً على الحِمَى وَقَدْ رَاقَ أَوْضَاحًا وَرَقَّ جَمَالاً (٧)

فالجناس يتمثل بين اللفظتين (أَنْسَ, وأَنْسَ), مما أعطى دلالة واضحة في تكثيف المعنى, مع توفير تلك الطاقة النغمية في الإيقاع الداخلي الذي حققه الجناس التـام في توظيف الأفعال الماضـية وتواليها؛ مما أوجَدَ زخمًا نغميًا متقارب المدى معززًا المعنى ومؤثّرًا في المتلقي(٨). إضـــافة لمـا حققـــه من تجانس ناقص في عجز البيت من خلال (راق, ورَقَّ), فقـد اوجد تناغمًا داخليًا هادئًا؛ فتكراره لحرف القاف جاء تعبيرًا "عن ظاهرة نغمية نفسية تنهض لتعميق المعنى"(٩), والتـي وظّفها الشاعر عن قصد ليعزز المعنى الدلالي المراد إيصاله كون هذا المحبوب رقيـق بوضوحه وجماله فلا يُنسى, ضمن إطار تتواكب معه التجربة الشخصية للشاعر.

ووظّف ابو الحسن الحصري, المعنى المجازي" الترجي والتوسـل" متذكراً الوصل الحقيقي مع حبيبته، اذ يقول: (الطويل)

عَشيّاتِ أيّامِ الحِمَى جادَكِ الحيـا لقد كنتِ ريحانَ المحبينَ فارجِعي

عِـذاركُ مِسْكٌ أذْفـرٌ في أُنوفِنَـا فشوقًا الـى مَشْمومِكَ المُتَضوِّعِ

عَميدُ الهوى يُشفى به من سقامِهِ فـاهدِ إلينـــا نشرَهُ نتَمَتَّعِ

عفا الله عن ذا الدّهر إن رَدَّ شَمْلَنا وشَعَّبَ مِنّا كـلَّ قلْبٍ مُصَدَّعِ (١٠)

يتنبه الشاعر الى أوقات عصيبة مرّت عليه بين ماضٍ يسترجع فيه ذكرياته السعيدة مع من يحب, متوسلاً إياها ان تعود, موظفّاً فعل الأمر (ارجعي), مستذكرًا حتّى رائحة الحبيبة التي هي مسك تعبق في الأنوف شوقًا ولهفةً من عاشق متضوع لآلام البعد والفراق, وبين حاضر مرّ قاسٍ أذهب لذة الماضي, اذ أنّه يعاود التوسل باستعماله فعل الأمر (اهدِ) عسى أن ينال وصالها فيشفى من سقامه, فضلاً عن توظيفه للزمن أو للدهر كونه كفيلاً بتغيير المصير وتقلب الأحوال , عسى ان يردّ شمل قلوب متصدعة من ألم الفراق ووجع الهجر, وقد انسجم اسلوب الأمر مع الفكرة التي أراد الشاعر إيضاحها, فهو من صميم الفن, فلا يوجد فن بدون اسلوب, كما لا توجد صورة بدون ظلال وخطوط [١١] فبدت القسوة فأراد بتذكره لأيام الوصل الحقيقي اشعار الحبيبة بألمه ووجعه.

وقد وظّف ابن اللبانة اسلوبه التعجبي في وصفه لوصل الحبيبة في تغزله فيقول: (مجزوء البسيط)

يا شادِنًا حَلَّ في السَّواد من لحظِ عَيني ومِنْ فُؤَادِي
و كعبةٍ للجمال طَافَت من حولها أنفُسُ العبادِ
ما زِدْتَنِي في الوصال حَظًّا الاّ غَدَا الشُّوق في ازْدِيادِ
أعْشَى سَنَا ناظريك طَرْفي فَلَيسَ يَلتَذُّ بالرُّقاد [١٢]

فنجده تارة صرّح بأداة النداء "يا" (يا شادِنًا) وتارةً لم يصرح بها, مفضلاً إضمارها والتقدير (يا كعبةً)؛ وفي حذفه للأداة رغبةٌ منه ان يشعر المتلقي بمكانة المحبوب من قلبه تعظيمًا له؛ ومن خلال تشبيهه بالكعبة التي هي مُزار أنفس العباد فقد حلّت تلك الحبيبة صميم الفؤاد والنظر, فنراه متعجبًا مستغربًا من حالةِ هُيامه وعشقه فكلما زاد

الوصال زاد شوقه, وقد أصاب سنا وضياء عينيها عينه بالمرض فبات عاشيًا لا يستلذُّ بالنوم ولا بالرُّقاد, وهذا الالم أصاب الشاعر ولكن من نوع خاص فزيادة الوصال أدّت الى سقمه وعلّة جسده, فقلبه الصغير يكاد لا يتحمل هذا الحب, وهذا راجع الى عاطفته؛ فالعاطفة تكسب الصدق في القلب حيًّا نابضًا, فهو"ينهض بنفسه على نفسه دليلاً لصدقه"(١٣)وقد أعطى الشاعر لما أراد تصويره قوة في التعبير زيادة على لفت الانتباه لذلك.

ويسترسل ابن الملح في وصف لقائه الحقيقي لمحبوبته , إذ يقول متغزلاً: (البسيط)

عَهْدٌ جَنَيْنَا لِمَعْنَاهُ الهَوى طُرًّا حُلْوَ الجَنَى, وصَحِبْنَا الأُنْسَ غِزْلاَنَا
هِيَ المَنَازِلُ كُنَّا أُنْسَهَا زَمَنًا حَتَّى الفِراقِ, وكانَتْ دارَ دُنْيانا (١٤)

فيمكن أن نلحظ التكرار في الجناس في قوله (جنينا والجنى, صحبنا, وغزلانا وزمنا ودُنيانا, كنا وكانت), وهو تجانس عمل فيه الشاعر على استمرار الايقاع نفسه داخل البيت الشعري مع قصر الفاصل بين الالفاظ, فالسامع يشعر بهذا التردد الصوتي الواضح مما يخلق حالة من الترقب على المستويين الدلالي والصوتي. فهو ذلك المحب الذي حصد حلو النتاج مصاحبًا الجمال والرقة, مستأنِسًا بمنازل الحبيبة التي هي دنياه سَكَنًا, إذ رفد الجانب المعنوي باللين كما أسهم في إضفاء إيقاع لين تناغم مع المعنى لوصاله الحقيقي .

ومن الأبيات التي طُليت بالرّقة فيوصف الوصل الحقيقي , قول المعتمد بن عبّاد مضيفاً رقة ونغمًا عذبًا حلوًا على البيت, إذ يقول: (الطويل)

(١٥)

سَقَى الله صوبَ القطرِ أمَّ عُبدة كما قد سَقَتْ قَلْبي على حَرّهِ رَدَا

إذ يدعو للحبيبة بأرق الالفاظ, إذ جانس بين (سقى, وسَقَت) فجاء جناسًا ناقصًا رفد المعنى الذي أراده الشاعر, فهو ذلك المحب الراضي الذي يدعو بالسُّقيا – وهي دليل الرحمة – لبقاع الحبيبة لما أبَدَته من وصال وودٍّ بَرَّد قلبه الحَرَّا.

المبحث الثاني

نمط الوصل المُتخيَل

يذكر الشاعر الوصل في اشعاره ، ولكنه وصل يتخيل حدوثه ويتمناه ،فهو يطوف في خيــاله

الى الحبيبة المبتعدة ويقرَب وصالها من خلال اشعاره وإن شطَت بها الدار ،فالشعر يقرَب المسـافات

ويرفع الحواجز ،لذا نجده يتخيل لقاء محبوبته عبر خياله .

ولابن زيدون مقطوعة في حيث وظَّف رقة عواطفه, اذ يقول: (الخفيف)

لَوْ تُرِكْنَا بِأنْ نَعُـودَكَ عُدْنَـــا وَقَضَيْنَا الذي عَلَيْنَا، وَعُدْنَـــا

غَيْرَ أنّ الهوى اسْتَفاضَ حَديثًا فانْتَحتنا العُيُونُ لَمَّا حُسِدْنَا

فلَوَ أنّ النُّفوسَ تُقْبلُ مِنـــا لَسَمَحْنَا بِهَا – فِداءً – وَجُدْنَا (١٦)

إذ نجد الفاظًا دلّت من رقتها وسلاستها وهي: (نعودك, النفوس تُقبل, لسمحنا, فداء, وجدنا) اضافة الى دلالة المعنى لهذه الالفاظ التي جاءت منسجمة مع ما أراده الشاعر؛ فهو يتمنى أن يمنح فرصة لزيارة الحبيبة كالذي يزور مريضا, ويؤدي واجبه ثم يعود, الّا ان سر هواه وحبه لما ذاع أمره احاطت بهما العيون حسدا وحقدا؛ متمنيا أن يفدي حبيبته بنفسه لو انها تقبلُ منه سامحا بها فداءًا وجودًا وعطاءًا, "فلغة الشاعر تعبر عن مقتنياته الابداعية؛ فتتفجر الالفاظ لتعبر عن اللوحات التعبيرية الشعورية واللاشعورية [١٧].

ويصور ايضا في نتفة قالها بعنوان "بذل الحياة", مخاطبًا فيها محبوبته مستشفعا اياها, إذ يقول: (المجتث)

بِاسمِ خُذْ مِنْ حَياتي يَومًا, وَصِلْني سَاعـهْ
كَيْما أنالَ بِقَــرضٍ مالَم أَنَلْ بِشَفَاعَــهْ [١٨]

اذ يتوسل الشاعر حبيبته مستحلفًا اياها ان تأخذ من حياته يومًا مقابل ساعة وصال,

عسى ان ينال بالمقايضة مالم ينله بالطلب والرجاء حتى , مستعملاً الفعلين (خذ, صلني), وهو باستعطافه هذا يتخيل وصل من يحب ,والذي سوغ له هذا استعماله صيغة الأمر المجازية.

ونلحظ الالفاظ في مقطوعة اخرى لابن زيدون (اختلاس النظر) يقول فيها: (المتقارب)

سأقنَعُ مِنكِ بِلَحظِ البَصـر وَأَرضى بِتَسليمِكِ المُختَصَرْ
وَلا أَتَخَطى التِماسَ المُنى وَلا أَتَعَدّى اِختِلاسَ النّظَرْ
أَصُونُكِ مِن لَحَظاتِ الظنّونِ وَأُعْلِيكِ عَن خَطَراتِ الفِكَرْ
وَأَحذَرُ مِن لَحَظاتِ الرَقيبِ وَقَد يُستَدامُ الهَوى بِالحَذَرْ(١٩)

وهي (سأقنع, أرضى, تسليمك المختصر, لا أتخطى, ولا اتعدى, أصونك, وأعليك, احذر, يستدام), فهي جميعًا استطاع الشاعر من خلالها رسم لنا صورة لحاله المتأتي من قنوعه بحبيبته, حيث صرح بهذا في البيت الأول فهو سيقنع منها بالنظرة الخاطفة, ويرضى بالسلام منها ولو كان على عجاله واختصار, غـير متـخطي لـهذه الامنيات, ولا متعدٍ لحدود تلك النظرات العجلى, صـائنًا لــه ومحافظًا عليه من كل نظرة أو فكرة مريبة وحذرًا من نظرات الرقيب املاً ان تظل بحبيبته مستدامة من جراء هذا الحذر والحيطة ,ف "من افات الحب الرقيـب ,وانه لحمى علاقته باطنة وبِرسام مُلِحّ , وفكر مُكِبّ "(٢٠) .

ومن ذلك ما جاء عند الشاعر ابن حزم الاندلسي في مقطوعة له يقول فيها: (الكامل)

إنْ كانَ وصلُكَ ليسَ فيهِ مَطمَعٌ والـقُربُ مَمنوعٌ فَعِدْني واكذِبِ
فَعَسى التَّعَلُّل بالتِقائِكَ مُمسِـكٌ لــــحَياةِ قلبٍ بالصَدُّودِ مُعذَّبِ
فـــقَدْ يُسَلّى المُجْدَبِينَ إذا رَأوا في الأُفقِ يَلمَعُ ضوءُ بَرقٍ خُلَّبِ*(٢١)

حيثُ حمل الوصل في نظر الشاعر مدلولات متنوعة ولاسيما ان رافقه القنوع والرضا الذي يبعث في نفسه الراحة والتعلل حتـى وان كان متخيلاً, فيوظف فعلي الأمـر

(عِدني , اكذب) ليطلب من حبيبته أن تبادله الوصال والقرب الممنوعين منه, بأن تعده ولو كذبًا, معللاً ومسليًا نفسه بلقاء يعيد الحياة لقلب معذب من صدّ وهجر محبوبته كسلو من اصابهم الجدب والقحط بلمعان برق وسحاب خداعٍ لا مطر فيه. وهذا من باب القنوع, حيث يقول ابن حزم فيه: "وأني لأعلم من كان يقول لمحبوبته: عدني واكذب, قنوعًا بأن يسلّي نفسه في وعده وان كان غير صادق", وقو بقنوعه هذا دل على رقة قلبه وعطفه .

ونلحظ أيضًا عند الشاعر ابن الملح[٢٢] (ت٥٠٠ هـ) , اذ يقول متغزلاً : (البسيــط)

هَل الوِدادُ مَنَابٌ مِـنْ وِصَـالِكُمُ وَقَنَعْتُ بِزوْرِ الطَّيفِ اِنْ كَـانا[٢٣]

إذ خرج الاستفهام الى الانكار, وان الانكار يجيء لتنبيه المخاطب للرجوع الى نفسه؛ فيخجل ويرتدع عما كان بسبيله؛ لأنه اما أن يكون ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه, أوهمّ بأن يفعل ما ليس بصواب, أو جوّز وجود أمر لا يوجد مثله**(٢٤)**،والذي يمتزج بالتعجب والدهشة من عدم وصال المحبوبة, وهو قد قنع منها بزيارة حتى وان كانت في الحُلم, وهذا دليل تفانيه معها, فـ "من القنوع الرضا بمزار الطيف"[٢٥].

ويستعمل ابن الملح النداء لغرض الالتماس, في قوله متغزلاً : (البسيط)

يا غرَّةَ* الفَجرِ تُهدِيني طَلاقَتُهُ اذا تلَوّنَ أهلُ الحُبّ ألـــوَانَا

هَلِ الوِدادُ مُنابٌ مِن وِصَـالكُمُ وقَد قَنَعْتُ بِزَورِ الطَـيفِ أنْ كَانا[٢٦]

فينادي الشاعر محبوبته واصفًا اياها ببزوغ الفجر في اوله دلاله على نوره و اشراقه الذي يهديه الهداية والرشاد اذا ما تغيرت احوال العاشقين وأهل الحب والمحبين, طالبًا منها أن تمنحه الوداد والوصال و وان تعذّر عليها ذلك فهو قانع بزيارة طيفها في الحلم بعد تعذر ذلك اللقاء والوصال في الحقيقة؛ فهو ذلك المحب القنوع الذي يرضى

بأقل القليل من الوصال المتمسك بمن يحب، فرسم الشاعر من خلال اسلوبه تراكيب جميلة ورقيقة خدمت المعنى المراد .

وحوار المعتمد بن عبّاد مع حبيبته يكمن في قوله: (الطويل)

أغـائبةٌ عنّـي وحاضِرَةٌ معـي لَئِن غِبتِ عَن عَيني , فإنّكِ في كَبِدِي

أقبعي على العهدِ الذي كان بيننا فانّي على ما تعلَمين من العهــدِ[٢٧]

إذ اراد الشاعر في ندائه مخاطبة الحبيبة الذي نلمح فيه استغاثة ملحة في طلب اللقاء والحفاظ على العهد, فكان ندائه بـ "الهمزة" وهي لنداء القريب ولكنها خرجت لنداء البعيد حيث ان المنادى (الحبيبة) غائبة عنه وبعيدة ولكنها حاضرة معه قريبة منه؛ فهي وان غابت عن عينه فهي حاضرة مكانها جوفه وكبده, طالبًا منها ان تبقى على العهد والوفاء الذي بينهما, فأنه ذلك الوفي المخلص الذي عهدته وعرفته من قبل، فقد افاد الشاعر من اسلوبه لخطاب محبوبته المتخيل الوصال معها .

وقوله في تغزله في زوجه "اعتماد": (المتقارب)

مُرادي لُقياكِ في كلِّ حِينٍ فيا ليتَ أنّي أُعْطَى مُرادِي[٢٨]

جاء التصدير بين (مُرادي ومرادي), إذ أَنّ قوة الايقاع الحاصل لا يمكن أغفالها, حيث بدَت منسجمة مع معنى الغزل المتمثل بأمانيه في لُقيا من يحب مترجمًا رقة مشاعره التي قصدها الشاعر, وقد حقق التصدير توازنًا صوتيًا في البيت ما بين صدره وعجزه؛ لارتباط أول البيت بآخره, فكأنّ البيت أصبح دائرة يبدأ وينتهي باللفظة نفسها.

ويستعمل الأعمى التطيلي اسلوب النداء في قولهِ: (البسيط)

يا لوعةً هِيَ أحلى مِنْ مُنى أملٍ الآنَ أعْرِفُ شيئًا كُنتُ أُنكِرُهُ

جدّ منَ الشَّوق كان الهزلُ أوّلَه أقلُّ شيءٍ اذا فكّرتَ اكْثَرُهُ

ولـي حَبيبٌ وإنْ شَطَّ المَزَارُ بِه وقدْ أقولُ نأى لولا تَذكّرُه (٢٩)

إذ يخرج النداء عنده الى "التعجب" اذ يحاول الشاعر ومن خلال توظيفه اسلوب النداء والاداة "يا" تنبيه الحبيبة الى لوعة الشاعر التي تختلج نفسه واصفًا اياها بأنها احلى الاماني والآمال, انها لوعة الحب والعشق الذي عرفه بعد نكران ورفض, حيث كان الشوق والحب عنده مجرد هزل ودعابة استحال الى حقيقة وجدّ, قليلهُ كثير في تفكيره, وهذا الحبيب الذي على الرغم من بعاده وعدم تمكنه من زيارته الا انه لا يقرُّ ببعاده نتيجة حضوره الدائم في ذاكرته, فياله من وفاء ورقة مشاعر "وهذه الصفة حسنة جدًا, وواجب استعمالها في كل وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم"(٣٠) ولاسيما الوفاء للحبيب الذي ناداه بكل ودَ ورقة وعطف ،فأفاد من هذا الاسلوب لإبراز المعنى .

وها هو يُعلن اليأس والقنوط من خلال وصله المتخيل لحبيبته وتمنيه رجوع الود والوصال إذ يقول: (الكامل)

صَبٌّ لَهُ في كُلِّ عُضوٍ مَدْمَعُ هَجَعَ الخليُّ وليلُهُ ما يَهْجَعُ

يَا وَصلَ ذاتَ الخَالِ هَلْ مِنْ مُرْجِعٍ هيهاتَ لَيس لِما تَوَلَّى مُرجِعُ(٣١)

لقد وظّف الشاعر الالفاظ (هجع ويهجع, مرجع ومرجع) مرّة تصدير حشو وأخرى تصدير تقفية, فَرَدَّ الأعجاز على الصدور؛ ليحدث إيقاعًا نغميًّا تطريبيًّا من حيث تكرار

اللفظ في البيت الشعري, فضلاً عن الدلالة المعنوية, كانت ملازمة للدلالة الصوتية التي تهدف الى التقرير والتبيين والتدليل[٣٢], وقد شكل التردد القريب بين اللفظتين المكررين مساحة صغيرة؛ ليزيد في التأكيد على هذين اللفظين, ويسبغ عليهما قوة في الإيقاع والنَّغم الموسيقي الداخلي.

أما ابن الزقاق البلنسي فنجده ينادي الحبيبة ،اذ يقول: (البسيط)

يا ثاويـًا بِضلوعي مَا يُفارِقُها وإنْ تَحَمَّلَ عَن أكنافِ أرْبُعهِ

لَأنتَ اِنْسانُ عَيني فَأعجَبَنَّ لِمَنْ إنسانُ مُقْلتهِ مَا بَينَ أضلُعِهِ[٣٣]

حيثُ خرجَ النداء الى معنى "التعجب", فذلك الحبيب قد استقر في قلبه ما يفارقه حتى وانْ ارتحل من نواحيه وديارِه, فيا عجبًا من ذلك الانسان الذي هو عينيه التي يبصر بها قد اصبحت تلك المقل ما بين اضلعه وقلبه. وهذا دليل رقة مشاعره الصادقة مع الحبيبة.

أما ابن السيد البطليوسي فقد عبَّر عن توجعه لبغية وصل الحبيبة، اذ يقول متغزلاً : (الطويل)

أيـــا قَمـَرًا فـي وجَنَتَيْهِ نَعيمُ وبينَ ضُلُوعي من هَواءٍ جَحيمُ

الى كَمْ أُ قاسي مِنْكَ روعًا وقسوةً وصَرْمًا وسُّقمًا إنّ ذا لعظيمُ

وإنّي لأَ نْهَى النفسَ عَنْكَ تَجَلـُّدًا وأَ زعمُ أنـّي بالسلـّوِ زعيـمُ

فإن خَطَرَتْ بالقلبِ ذكراكَ خطرةً ظَلِلْتُ بِلا لُبٍّ إليكَ أهيـمُ[٣٤]

فقد وظّف الأداة "أيا" التي تصلح لنداء القريب والبعيد[٣٥]حيث ينادي الشاعر محبوبته واصفًا إياها بالقمر الذي ينير وجناتها فتبدو نعيمًا وجنّة, وبين ضلوعه وأحشائه هي جحيم مستعر من شدة الشوق والوله, فهو يقاسي من قسوة وصرامة هذا الحب, وإنَّ عذابه لشيء عظيم ومهول, فيعمد الى ان ينه نفسه عنّها تجلدًا وتصبُّرًا, زاعمًا صدق

هذا السلوّ والتّصبر, ولكنه سرعان ما تستبين الأمور على حقيقتها؛ فلا صبر لديه ولا سلوان, فما أن يخطر ذكرها على قلبه الاّ ظلّ بلا عقل يهيم شوقًا ووجدًا بحبّها. فيظهر مدى قسوة الحبيبة, فحبّها بات يشعره بوعيهِ والاّ فلا عقل ولا حياة فـ "ضياع الوصل يعني ضياع الحياة, فلا حياة عنده بدون وصل"[٣٦] فهو يتخيل وصالها وقربها , فظهرت شدة في تراكيب الأبيات عبّرت عن حالات انفعالية متباينة عند الشاعر والذي ساعد في ذلك توظيفه لأسلوب النّداء, الذي رفد معنى الابيات .

أمّا ابن خفاجة فقد صرّح بوصله المتخيل المبتغى في مطلع قصيدته الغزلية, واصفًا حزنه من فراق الحبيبة, اذ يقول: (الطويل)

كَفَى حَزَنًا أنَّ الدِّيَارِ قَصيّةٌ فَلاَ زَوْرَ إلاَّ أنْ يَكُونَ خَيَالاً

ولاَ رُسْلَ إلاّ للرِّياحِ عَشِيَّةً تَكُرُّ جَنُوبًا بَيْنَنَا وَشِمَالاً

وَطَرْفًا قَرِيحًا صَامَ فِيكَ عن الكَرَى وَلاَ فِطْرَ إلاّ أنْ تَلوُحَ هِلالا (٣٧)

فالشاعر يصرح بمدى الحزن والأسى الذي يكتنفه من جرّاء فراق الأحبة وبعدهم, نافيًا إمكانية زيارته لهم, مستعملاً الأداة "لا" وهي "نفي للمستقبل والحال"[٣٨], مستثنيًا زيارتهم ووصلهم الاّ في الخيال فقط, نافيًا أي تواصل او تبادل للحب والود فلا رسل الاّ الرّياح التي لا طاقة لأحد من منعها, فالفراق صعب ومر, لا يتحمل عناءه, نافيًا عن عينيه النوم رغم مرضها, فهي ممتنعه كامتناع الصائم عن الطعام وهلال فطرها رؤية وجه الحبيبة والقرب منها, ومن خلال نفيه المتكرر يصف صعوبة حالة هذا الحمل والفراق جاعلاً من الوصل المتخيل متنفسا له .

وختاماً لما سبق فقد تعددت أسباب الوصل ودوافعه في قصائد الغزل فكانت شافعًا ومسوغًا لاسلوب الشعراء ولين جانبهم ورقة مشاعرهم تجاه الحبيب كالوصل وجمال الحبيبة والقنوع بما هو قليل والرضا والكلام في ماهية الحب وتمكنه من قلب الشاعر والاشتياق والحنين والاستعطاف والاعتذار والخضوع والتذلل والكتمان والتصاون والسلوُّ والتصبّر على أذى الحبيب، والوفاء لعقيدة المحبوبة سواء في الهجر أو الوصل، والرِّضا بمزار الطيف، والبذل ولو حتى بالنفس، والتغاضي عن الزلّات وذنوب وآثام الحبيبة، وغيرها من أسباب توسل بها الشعراء مع الحبيبة. وقد وجدنا ان نمط الوصل المُتخيل هو الغالب على النصوص الغزلية نسبة الى نمط الوصل الحقيقي .

الهوامش:

(١) لسان العرب، مادة هجر,١٥/٢٤.

(٢)ديوان ابن حزم الاندلسي, ٩٥.

(٣) موسيقى الشعر, ٢٨.

(٤)ديوان ابن زيدون ,١٣٩ .

(٥)نظرية الأدب, ٢٢٣.

* الفرقدين: نجمان في السماء لا يغرُبان ولكنّهما يطوفان بالجدي, ينظر: لسان العرب, مادة (فرقد),١١/١٧٢.

* * أجَنَّ: جَنَّ الشيء يَجُنُّه جَنًّا: ستره, ينظر: لسان العرب, مادة (جنن),٢١٨ /٣.

** * دُجى: الدُّجةُ : شِدَّةُ الظلمة, ينظر: لسان العرب, مادة (دجج),٥/٢١٨.

(٦)ديوان ابن خفاجة, ١٢٤.

(٧) م.ن ،١٢٤.

(٨)ينظر: إشكالية التماثل والتميز في الشعر الاندلسي (اطروحة), ٢٢٤.

(٩)الزمن عند شعراء قبل الاسلام, ٢٨٥.

(١٠) ديوان ابو الحسن الحصري (المعشرات), ٢٢٩.

(١١) ينظر: في النقد الأدبي, ٩٣.

(١٢) ديوان ابن اللبانة الدّاني ، ٥٠-٥١.

(١٣) الشعر وألفاظه, ٢٤.

(١٤) شعر ابن الملح, ٣٣٥

(١٥) ديوان المعتمد بن عبّاد, ٧.

(١٦) ديوان ابن زيدون, ١٥١ – ١٥٢.

(١٧)اشكالية التماثل والتميز في الشعر الاندلسي من دولة الموحدين حتى سقوط غرناطة (دراسة نقدية), ١٣٩.

(١٨)ديوان ابن زيدون, ١٨٦.

(١٩) م.ن،١٦٨.

(٢٠)طوق الحمامة،٩٦.

* برق خلب: بالذي لا غيث فيه, كانه خادع, ينظر: الصحاح, مادة (خلب).

(٢١)ديوان ابن حزم, ٣٩.

(٢٢)ابن الملح: أبو بكر بن محمد بن اسحاق اللغمي من أهل شلب, يعرف بابن الملح وابن الملاح (ت٥٠٠هـ), ينظر: الذخيرة, ق٢/٣/٥٢٤, والتكملة لكتاب الصلة, ابن الأبار (ت٦٥٨هـ), تح: عبد السلام الهرّاس, دار الفكر للطباعة – لبنان, (د.ط), ١٤٢٥هـ – ١٩٩٥م, ٣٣٧/١. والمغرب في حلى المغرب, ابو الحسن علي المغربي الاندلسي (ت٦٨٥هـ), تح: شوقي ضيف, دار المعارف – القاهرة, ط٣, ١٩٥٥م, ٣٨٣/١.

(٢٣)شعر ابن الملح, ٣٣٥.

(٢٤)ينظر: دلائل الاعجاز, ١١٩.

(٢٥)طوق الحمامة, ١٦٠.

* غُرّة: غَرّة الشيء: أوله وأكرمُه, لسان العرب, مادة (غرر).

(٢٦)شعر ابن الملح, ٣٣٥.

(٢٧)ديوان المعتمد بن عباد, ٦.

(٢٨) م.ن, ٨.

(٢٩) ديوان الاعمى التطيلي, ٢٤٠.

(٣٠) طوق الحمامة,١٣٥.

(٣١)ديوان الاعمى التطيلي, ٧٨.

(٣٢)ينظر: البلاغة والاسلوبية, ٢٢٣.

(٣٣) ديوان ابن الزقاق البلنسي, ١٩٩.

(٣٤)ديوان ابن السيد البطليوسي, ١٤١.

(٣٥) ينظر: اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ,٢٢٧.

(٣٦)شعر الحب في العصر الأموي, ١٢٤.

(٣٧)ديوان ابن خفاجة, ١٢٤.

(٣٨) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها, ١٢٠.

المصار والمراجع

اولا/المصادر والمراجع:

- ابن السيد البطليوسي اللغوي الأديب (٤٤٤ – ٥٢١هـ)، صاحب ابو جناح، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م
- ابو الحسن الحصري القيرواني (عصره – حياته – ورسائله) (ديوان المتفرقات –يا ليل الصب – المعشرات – اقتراح القريح)، تحقيق، محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج يحيى – مكتبة المنار – تونس، (د.ط)، ١٩٦٣م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د.ت).
- البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب، مصر، الهيئة المصرية العالمية للكتاب، ١٩٨٤م
- الزمن عند شعراء قبل الاسلام، د.عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ١٩٨٦م.
- الشعر وألفاظه، ورد زورث، ضمن كتاب قشور ولباب، د.زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م
- الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ – ٤٧٤هـ)، تحقيق، محمود محمد شاكر ابو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجده، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- ديوان ابن الزّقاق البلنسي (ت٥٢٨هـ)، تحقيق، عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة – بيروت، ١٩٦٥م.
- ديوان ابن اللبانة الداني، مجموع شعره، جمع وتحقيق، أ. د.محمد مجيد السعيد، دار الرّاية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- ديوان ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمع وتحقيق، عبد العزيز ابراهيم، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- ديوان ابن خفاجة (ت٥٣٣هـ)، تحقيق، د.سيد غازي، منشأة المعارف الاسكندرية، ط٢، ١٩٦٠م

- ديوان ابن زيدون ورسائله (ت٤٦٣هـ)، شرح وتحقيق، علي عبد العظيم، دار نهضة مصر – القاهرة، ١٩٥٧م.
- ديوان الأعمى التطيلي (ت٥٢٥هـ)، تحقيق، د.احسان عباس، دار الثقافة – بيروت – لبنان، (د.ت).
- ديوان المعتمد بن عبّاد (ملك أشبيلية)، جمعه وحققه، أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، الطبعة الأميرية بالقاهرة، (د.ت).
- طوق الحمامة في الألفة والآلآف، لابن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ)، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع – تونس، ١٩٨٠م
- في النقد الأدبي، شوقي ضيف، القاهرة، ط٦، دار المعارف – مصر، ١٩٦٢م
- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- موسيقى الشعر، د.ابراهيم أنيس، دار القلم – بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- نظرية الأدب، أوستن – رينيه ويلك، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: د.حسام الخطيب، ١٩٧٢م

ثانياً/الرسائل والأطاريح الجامعية :

- إشكالية التماثل والتميز في الشعر الاندلسي من دولة الموحدين حتى سقوط غرناطة (دراسة نقدية)، عبد الكريم فاضل عبد الكريم العاني، أطروحة دكتوراه، الجامعة الاسلامية – بغداد، كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م
- شعر الحب في العصر الأموي "دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون"، هناء جواد عبد السادة العيساوي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م

ثالثًا/ المجلات والدوريات:

- شعر ابن الملح (٥٠٠هـ)، جمع ودراسة، محمود محمد العامودي، مجلة الجامعة الاسلامية – فلسطين، م٩، ع١، ٢٠٠١م.

Sources and references

First/sources and references:

Ibn al-Sayyid al-Batalyusi, the linguist and writer (444) - 521 AH), author of
• Abu Jannah, 1st edition, 1428 AH - 2007 AD

Abu Al-Hassan Al-Husri Al-Qayrawani (His Era) - His Life and Letters) (Divan • of Miscellaneous, O Night of the Feast - Al-Mu'asharat - Suggestion by Al-Qarih), edited by Muhammad Al-Marzouqi and Al-Jilani bin Al-Haj Yahya - Al-Manar Library - Tunisia, (edit), 1963 AD

• Request methods according to grammarians and rhetoricians Dr. Qais Ismail Al-Awsi, Ministry of Higher Education, University of Baghdad, House of Wisdom (D.T(

Rhetoric and Stylistics, Muhammad Abd al-Muttalib, Egypt, Egyptian • International Book Association, 1984 AD

• Time according to pre-Islamic poets, Dr. Abdul Ilah Al-Sayegh, House of Cultural Affairs - Baghdad, 1986 AD

• Poetry and its words, Ward Sworth, in the book Peels and Pulps by Dr. Zaki Naguib Mahmoud, Authorship, Translation and Publishing Committee Press, Cairo, 1957 AD

Al-Sahibi in the jurisprudence of language, by Ahmed bin Faris (d. 395 AH),
• edited by Ahmed Hassan Basaj, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1418 AH - 1997 AD

• Evidence of the Miracle of Imam Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH - 474 AH), edited by Mahmoud Muhammad Shaker Abu Fahr, Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah, 3rd edition, 1413 AH - 1992 AD

• Diwan of Ibn al-Zaqq al-Balansi (d. 528 AH), edited by Afifa Mahmoud Dirani, House of Culture - Beirut, 1965 AD

The collection of Ibn al-Labbanah al-Dani, a collection of his poetry, • collected and edited by A. Dr . Muhammad Majeed Al-Saeed, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1429 AH - 2008 AD

Diwan Ibn Hazm Al-Andalusi (d. 456 AH), compiled and edited by Abdul Aziz • Ibrahim Dar Sader - Beirut, 1st edition, 2010 – 1431

. • Diwan of Ibn Khafaja (d. 533 AH), edited by Dr. Sayyid Ghazi, Mansha'at al-Ma'arif Alexandria, 2nd edition, 1960 AD

• The collection of Ibn Zaydun and his letters (d. 463 AH), explained and edited by Ali Abdel Azim, Nahdat Misr House - Cairo,. - + 1957
Diwan al-A`ma al-Tatilili (d. 525 AH), edited by Dr. Ihsan Abbas, House of
• Culture - Beirut - Lebanon, (D.T)
• The Diwan of Al-Mutamid bin Abbad (King of Seville), compiled and verified by Ahmed Ahmed Badawi, Hamed Abdel Majeed, Amiri Edition in Cairo (ed. T).
• The Dove's Ring in Al-Ulfah wa Al-Alif by Ibn Hazm Al-Andalusi (d. 456 AH), verified and presented to him by: Salah Al-Din Al-Qasimi, Dar Bu Salamah for Printing, Publishing and Distribution - Tunisia, 1980 AD.
• In literary criticism, Shawqi Deif, Cairo, 6th edition, Dar Al-Maaref - Egypt, 1962 AD
• Lisan al-Arab, Ibn Manzur (d. 711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd edition, 1414. AH.
• Poetry music, Dr. Ibrahim Anis, Dar Al-Qalam - Beirut - Lebanon, (ed.), (d.d)..
• Literary Theory, Austen - Renée Wilke, translated by: Mohieddin Sobhi, reviewed by Dr. Hossam Al-Khatib, 1972 AD

Secondly, university theses and dissertations:

• The problem of similarity and distinction in Andalusian poetry from the Almohad state until the fall of Granada (a critical study), Abdul Karim Fadel Abdul Karim Al-Ani, doctoral dissertation at the Islamic University - Baghdad, College of Arts / Department of Arabic Language 1430 AH - 2009 AD
. • Love poetry in the Umayyad era, a study "On the Duality of Form and Content," Hanaa Jawad Abd al-Sada al-Issawi, PhD thesis, College of Education - Ibn Rushd, University of Baghdad, 1995 AD.

Third, magazines and periodicals:

. • Poetry of Ibn al-Malah (500 AH), collected and studied by Mahmoud Muhammad al-Amoudi, Islamic University Journal - Palestine 2001.19